

## الاتباع والابتداع في المصطلح النقدي: "قانون البلاغة" لأبي طاهر البغدادي (517هـ) نموذجا.

Ittibaa 'The fact of following the footsteps of the previous pioneers' and innovation in the critical terminology: Kanoun albalara by Abou Tahir al-Baghdadi 517AH. As a model

د. محمد برحو\*

تاريخ النشر: 2020/06/30	تاريخ القبول: 2020/04/27	تاريخ الإرسال: 2020/03/25
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

يروم هذا المقال معالجة قضية الاتباع والابتداع في المصطلح النقدي القديم؛ ولدراسة الظاهرة اشتغلنا بكتاب محدد هو كتاب "قانون البلاغة" لأبي طاهر البغدادي (517هـ)؛ وحرصا على الدقة في الموضوع، اقتصرنا الدراسة على القسم الثاني من الكتاب المذكور، وتمحورت حول تحديد المصطلحات الخاصة بأبي طاهر والمصطلحات المشتركة بينه وبين البلاغيين والنقاد السابقين والمعاصرين له.

الكلمات المفتاحية: المصطلح النقدي؛ الاتباع والابتداع؛ قانون البلاغة؛ أبو طاهر

البغدادي.

### Abstract:

*This article is aimed at addressing the issue of Ittibaa "The fact of following the footsteps of the previous pioneers" and Innovation in the ancient critical terminology. In order to study this phenomenon, we decided to work on one specific book Kanoun albalara Abou Tahir al-Baghdadi 517AH. Seeking accuracy, the study was limited to the second section of the aforementioned book. The study is about defining Tahir's terminology, as well as terminology common between him, his former critics and contemporaries.*

المؤلف المرسل: محمد برحو Mohammed064123@gmail.com

\* باحث في علم المصطلح النقدي؛ خريج كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة -

المغرب. Mohammed064123@gmail.com

**Key words:** critical terminology, Ittibaa and innovation, Kanoun albalara (rethorics), Abou Tahir al-Baghdadi.

\*\*\* \*\*

مقدمة.

مرتّ البلاغة العربية منذ تاريخها الطويل بمراحل عدة، تطورت عبرها قواعدها وحدودها وتقاسيمها، واستحال التأليف فيها إلى أقسام وفروع تتوالد وتتكاثر، نتج عنه تضخم في القاموس البلاغي؛ فكما هو معروف كان "ابن المعتز أول من ألف في البديع وأنه أحصى في كتابه الذي وضعه فيه ثمانية عشر محسنا، ضم فيها إلى المحسنات البديعية الخالصة الصور البيانية الأساسية، وهي الاستعارة والتشبيه والكنية، وبذلك كان البديع عنده وعند من ألفوا فيه بعده يشمل البيان... ولم يلبث أن نفذ قدامة إلى زيادة ثلاثة عشر محسنا. ثم تلاهما أبو هلال العسكري، فعد المحسنات خمسة وثلاثين، وكذلك صنع ابن رشيقي في كتابه "العمدة"<sup>1</sup>. ثم زاد فيها أبو طاهر البغدادي (517هـ) في "قانون البلاغة"<sup>2</sup> فجعلها أربعة وأربعين. والبديع عنده ينقسم أقساما، ويتشعب شعبا...

وإذا نظرنا إلى الدرس البلاغي العربي من جهة المصطلح وجدناه متفاوتا، منه ما هو قائم على الإبداع والاجتهاد، ومنه ما هو قائم على الاتباع والتقليد؛ مما يتطلب في عملية تقويم هذا العلم التمييز بين الوضع الذاتي لكل ناقد والوضع غير الذاتي.

والمعروف أن الفضل في ابتداع كثير من المصطلحات النقدية<sup>3</sup> يرجع بالأساس إلى جماعة معينة أو شخص معين يعطي اللفظة في اللغة العامة دلالة اصطلاحية خاصة؛ من هنا نجد أن مجموعة منها تُرْجَع في أصل وضعها إلى مجموعة من النقاد والبلاغيين.

ولا جرم أن مسألة الاتباع والابتداع في المصطلح النقدي العربي تضع عدة تساؤلات تحتاج إلى إجابات علمية ودقيقة، لكونها إشكالية متشعبة ومشتبكة في الرؤى والأفكار والإبداع، غير واضحة المعالم ولا محددة الأركان. وإذا أردنا أن نضع أيدينا على المسألة، فلا بد من عدم القول بالتعميم، بل بالتخصيص في حدود الزمن والمكان والأشخاص. من هنا أثرنا الاشتغال بكتاب محدد ومعين هو كتاب "قانون البلاغة" لأبي طاهر البغدادي.

وقانون البلاغة، واحد من المصادر البلاغية القيّمة المهملة، ولدراسته لا بد من وضعه في سياقه التاريخي العام؛ ففي هذا العصر، تحولت بعض كتب البلاغة إلى النقل، إذ عمد أصحابها إلى تكرار البلاغيين السابقين، وكل ما نجد فيها تقسيماً وتنظيماً وتبويباً جديداً. لهذا اتخذناه نموذجاً للدراسة، للبحث عن المصطلحات الخاصة بالنقاد المدروس والمصطلحات المشتركة بينه وبين النقاد الذين وُجدوا قبله.

وقبل الحديث عن الاتباع والابتداع في مصطلح أبي طاهر البغدادي لا بد من الوقوف عند التعريف بالمؤلف ومؤلفه وأهميته النقدية والمصطلحية خاصة.

1. أبو طاهر البغدادي.

أبو طاهر البغدادي هو الشاعر الأديب محمد بن حيدر بن عبد الله بن شعيبان البغدادي، كان شاعراً بليغاً مُجيداً، حسن الشعر رقيقه، وقد توفي سنة 517هـ ويبدو أن الشعر كان أبرز صفاته، وبه شهر وعرف؛ وعلى هذا ذكرته المصادر التي ترجمت له - رغم ندرتها -، فاحتفلت بنماذج من شعره والثناء عليه، ولكنها لم تشر إلى كتابه "قانون البلاغة" أو إلى أي جهد يتصل بالكتابة والتأليف، حتى خفي أمره على العلماء والدارسين لهذا الفن قديماً وحديثاً<sup>4</sup>.

2. الكتاب وأهميته.

1.2. التعريف بالكتاب.

قانون البلاغة في نقد النثر والشعر دراسة نقدية لأساليب العرب وفنون البلاغة النثرية والشعرية وما تصطنعه من وسائل التجميل والتأنق والزخرف في كلامها. وهو مقسم إلى قسمين: القسم الأول خاص ببلاغة النثر ونقده، والقسم الثاني خاص ببلاغة الشعر ونقده.

كانت أول إشارة إليه فيما نشرته مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق عام 1921 من نياً اكتشاف مخطوطة الكتاب في الخزانة الظاهرية بدمشق.

ونُشر الكتاب مسلسلاً في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد السابع من مجلة الزهراء عام 1927.

ونشره محمد كرد علي في كتابه "رسائل البلاغ".

وقد حققه محسن غياض عجيل، ونشرته مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الأولى 1401هـ / 1981م، وهي نشرة علمية محققة.  
2.2. أهميته.

تحدث أبو طاهر البغدادي في كتابه عن مجموعة من القضايا والمباحث النقدية والبلاغية؛ ففي القسم الأول نجد: تعريف البلاغة، وألفاظ الكتاب، ونعوت الألفاظ وعيوبها، ونعوت المعاني وعيوبها، ومذاهب البلاغة، وتفضيل البلاغة، ووصف البليغ وترتيب البلاغة، وفضل الكتابة، والبلاغة عند الهنود، وأقوال في البلاغة، والسرقات، وفضائل اللسان...

أما في القسم الثاني فنجد: أقسام البديع، وأجناس الشعر الخمسة، والمختار من الشعر ومذاهب العلماء فيه، وصناعة الشعر، ومشكلة الألفاظ للمعاني، ودواعي الشعر، واختلاف الشعراء في الطبع، والنقد والنقاد...

وتأتي أهمية الكتاب من كونه يضم عدة مصطلحات نقدية، إذ حاول أبو طاهر البغدادي أن يجمع فيه مجموعة مصطلحات من خلال ما انتهى إليه علمه وتنظيمها وإخضاعها لقواعد وأسس متينة.

ويُعد "قانون البلاغة" لبنة لا يمكن غض الطرف عنها في تاريخ النقد والبلاغة العربيين؛ من هنا، يجب أن يعطى الكتاب مكانته التي يستحقها بوصفه ثروة نقدية مهمة ينبغي الاهتمام بها، وتفحصها ودراستها سواء من حيث المصطلح النقدي أو من حيث القضايا النقدية التي يثيرها.

### 3. مصطلح أبي طاهر البغدادي (517هـ) بين الاتباع والابتداع.

يقوم الاتباع في المصطلح النقدي على السير على منوال القدامى في وضع المصطلح واقتفاء تحديدهاتهم والالتزام بها. أما الابتداع فهو تجاوز مصطلحات القدامى والتفرد في وضعها، واستحداث الجديد وابتكاره تسمية وتعريفًا.

إن الوقوف على التقليد والاجتهاد أو على الاتباع والابتداع يقتضي منا الإجابة عن السؤال الآتي: هل المصطلحات النقدية الواردة في "قانون البلاغة" خاصة بأبي طاهر البغدادي أم أنها مشتركة بينه وبين البلاغيين والنقاد قبله؟

ونظراً لشساعة الموضوع الذي يقتضي الإحاطة بجميع المصنفات النقدية والبلاغية التي ألفت قبل عصره ومقارنة مصطلحاتها بمصطلحات البغدادي، فإننا سنقتصر حديثنا على القسم الثاني من كتابه الذي يضم بالأخص أربعة وأربعين نوعاً بديعياً، حرصاً على الدقة في الموضوع.

سار أبو طاهر البغدادي - على العموم - في الطريق الذي درج عليه البلاغيون القدامى، ومع أنه لم يشر إلى المصادر التي أخذ عنها مادة كتابه هذا، "فمما لا شك فيه أنه أفاد كثيراً ممن سبقه في هذا العلم، كابن المعتز وقدامة بن جعفر وأبي هلال العسكري وابن رشيق... لاسيما ونحن نلاحظ تشابهاً بين مادة كتابه هذا وكتاب أبي هلال... على وجه خاص<sup>5</sup>، سواء ما اتصل منها بالموضوعات أو التبويب أو الشواهد"<sup>6</sup> أو المصطلحات وتعريفها.

جعل أبو طاهر البغدادي القسم الثاني لمصطلحات البديع، وهي عنده أربعة وأربعون فناً، وهو يلتقي مع النقاد السابقين في مجموعة منها، وسنخصص حديثنا عن ابن المعتز (299هـ) في البديع<sup>7</sup>، وقدامة بن جعفر (337هـ) في نقد الشعر<sup>8</sup>، وأبي هلال العسكري (395هـ) في الصناعتين<sup>9</sup>، وابن رشيق القيرواني (456هـ) في العمدة<sup>10</sup>، لنقف على مدى الاتباع والابتداع، خصوصاً أن هذه الكتب من أهم ما صنف في البلاغة، وتضم عدداً مهماً من المصطلحات النقدية.

وفي دراستنا لمصطلحات أبي طاهر وابن المعتز وجدنا وجه التشارك بينهما في المصطلحات الآتية:

الطباق<sup>11</sup> سماه ابن المعتز المطابقة<sup>12</sup>، والتجنيس<sup>13</sup>، والاستعارة<sup>14</sup>، ورد العجز على الصدر أو رد الكلام على صدره<sup>15</sup>، والمذهب الكلامي<sup>16</sup>؛ وهي المصطلحات الخمسة التي عدّها ابن المعتز أصول البديع الكبرى؛ والمبالغة<sup>17</sup> وسماها ابن المعتز الإفراط في الصفة<sup>18</sup>،

والكناية والتعريض<sup>19</sup> وجعل ابن المعتز الكناية معطوفة على التعريض (التعريض والكناية)<sup>20</sup>، والالتفات<sup>21</sup>، والاستدراك والرجوع وهو عند ابن المعتز الرجوع<sup>22</sup>، وبراعة الاستهلال وسماها ابن المعتز حسن الابتداء<sup>23</sup>، وبراعة التخلص وسماها ابن المعتز حسن الخروج<sup>24</sup>، والتتميم وسماها ابن المعتز الاعتراض<sup>25</sup>، وذهبنا إلى أن التتميم والاعتراض مصطلحان لمفهوم واحد لما يأتي: جاء في قانون البلاغة: "وأما التتميم فهو أن يأخذ الشاعر في معنى، فيورده غير مشروح، فيقع له أن السامع لا يتصوره بحقيقته، فيعود راجعا إلى ما قدمه فإما أن يؤكد، وإما أن يجلي الشبهة فيه"<sup>26</sup>.

وجاء في البديع: "الاعتراض... هو أن يعترض المتحدث بكلامه كلاما آخر قبل أن يتم المعنى، ثم يعود إلى إتمامه"<sup>27</sup>.

بالإضافة إلى التضمين وهو عند ابن المعتز حسن التضمين<sup>28</sup>، والإعنات<sup>29</sup> وسماها ابن المعتز لزوم ما لا يلزم<sup>30</sup>، جاء في قانون البلاغة: "وأما الإعنات: فهو أن يلتزم الشاعر في القوافي ما لا يلزمه، إبانة عن اقتداره وتوسعه، وفسحة مجال فكره، وهذا المذهب على ضروب كثيرة... وقد التزم ابن الرومي في هذا ما لا يلزمه، فالتزم في حرف الردف الياء دون الواو، والواو دون الياء، وكَسَرَ في قصائد ما قبل حرف الروي، ولم يفتح ولم يَضْم، وضم في بعضها ولم يكسر ولم يفتح، وفتح في بعضها ولم يضم ولم يكسر"<sup>31</sup>.

وجاء في البديع في باب لزوم ما لا يلزم: "ومن إعنات الشاعر نفسه في القوافي، وتكلفه من ذلك ما ليس له قول رافع بن هُرَيْمِ الْيُرْبُوعِيِّ..."<sup>32</sup>.

وكذا تجاهل العارف<sup>33</sup>، والهزل الذي يراد به الجد<sup>34</sup>؛ وهي بعض المصطلحات التي أدرجها ابن المعتز ضمن محاسن الكلام؛ وهي كلها مصطلحات التقى فيها أبو طاهر البغدادي مع ابن المعتز ومجموعها ستة عشر مصطلحا.

هذا وليس في كتاب ابن المعتز ذكر لباحث قبله في قضايا البديع سوى الأصمعي الذي قال إنه ألّف كتابا في الجنس<sup>35</sup>، والجاحظ الذي قال إنه أول من سعى "المذهب الكلامي" باسمه<sup>36</sup>.

أما المصطلحات الثمانية والعشرون المتبقية، فقد التقى في ثلاثة عشر منها مع قدامة بن جعفر في نقد الشعر، وهي:

المقابلة وهي عند قدامة صحة المقابلة<sup>37</sup>، والإرداف<sup>38</sup>، والمساواة<sup>39</sup>، والإشارة<sup>40</sup>، والغلو<sup>41</sup>، والإيغال<sup>42</sup>، والتسهييم وذكر البغدادي أنه "قد يسمى التوشيح أيضاً"<sup>43</sup> وكذلك سماه قدامة<sup>44</sup>، جاء في قانون البلاغة: "وأما التسهييم، فهو أن يصوغ الشاعر ألفاظه مستوية الأقسام، معتدلة النظام، لا يزيد جزءاً على جزء، تقتضي كل كلمة أختها، وكل لفظة شكلها، فإذا كان الشعر على هذه الصيغة، سبق السامع إلى قوافيه، قبل أن ينتهي إليها راويه، حتى لو سمع سامع الشطر الأول، استخرج الآخر، من غير أن يكون قد سمعه"<sup>45</sup>.

وفي نقد الشعر: "التوشيح وهو أن يكون أول البيت شاهداً بقافيته ومعناها متعلقاً به حتى إن الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها إذا سمع أول البيت عرف آخره وبانت له قافيته"<sup>46</sup>.

وصحة التقسيم<sup>47</sup>، والمماثلة وسماها قدامة التمثيل<sup>48</sup>، والترصيع<sup>49</sup>، والتكافؤ<sup>50</sup>، والتبيين<sup>51</sup> سماه قدامة صحة التفسير<sup>52</sup>، ويظهر من خلال شواهد أبي طاهر لمصطلح التبيين وتعليقه عليها، ومقارنتها بما ورد عند قدامة أنهما مسميان لمفهوم واحد، رغم أنه لم يعرف المصطلح. جاء في قانون البلاغة: "وأما التبيين، فكقول الفرزدق:

لقد حُنتَ قوماً لو نُساق إليهم \*\*\* طريدَ دمٍ أو حاملاً ثقلَ مغرمٍ

فلو اقتصر على هذا البيت لكان جيداً، ودخل في باب ما حذف جوابه، فلما احتاج

إلى تبينه بيّنه فقال:

لألفيتَ فيهم مُعطياً ومطاعيناً \*\*\* وزاءك شراً بالوشيح المقوم

فبين قوله (حاملاً ثقل مغرم) بقوله: (لألفيت فيهم معطياً)، وقوله (طريد دم)،

بقوله: (ومطاعنا بالوشيح المقوم)"<sup>53</sup>.

ومن أنواع المعاني عند قدامة صحة التفسير: "وهو أن يضع الشاعر معاني يريد أن

يذكر أحوالها في شعره الذي يصنعه فإذا ذكرها أتى بها من غير أن يخالف معنى ما أتى به

منها ولا يزيد أو ينقص مثل قول الفرزدق رحمه الله:

لقد جئتُ قوماً لو لجأتُ إليهم \*\*\* طريدَ دمٍ أو حاملاً ثقلَ مغرم

فلما كان هذا البيت محتاجاً إلى تفسير قال:

لألفيتُ فهم مُعطياً أو مُطاعناً \*\*\* وراءك شزراً بالوشيح المقوم

فسر قوله حاملاً ثقل مغرم بقوله إن يليق فهم من يطاعن دونه ويحميه<sup>54</sup>.

علاوة على التصريح وسماه قدامة نعت القوافي<sup>55</sup>، جاء في نقد الشعر: "نعت القوافي:

أن تكون عذبة الحرف سلسلة المخرج، وأن يقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها، فإن الفحول والمجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك. ولا يكادون يعدلون عنه، وربما صرعوا أبياتاً آخر من القصيدة بعد البيت الأول، وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره. وأكثر من كان يستعمل ذلك امرؤ القيس لمحلّه من الشعر، فمنه قوله:

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل \*\*\* بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ثم أتى بعد هذا البيت بأبيات، فقال:

أفأطم مهلاً بعض هذا التدلّل \*\*\* وإن كنت قد أزمعت صرّمي فأجملي

ثم أتى بأبيات بعد هذا البيت، فقال:

ألا أيها الليل الطويلُ ألا انجلي \*\*\* بصبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثل<sup>56</sup>.

وكان نص البغدادي تعريفاً واستشهاداً هو نفسه نص قدامة تقريباً؛ جاء في قانون البلاغة: "وأما التصريح: فهو أن يقصد الشاعر لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة كمقطع المصراع الثاني، وقد فعل ذلك المتقدمون والمحدثون، حتى إن بعضهم ربما صرع من القصيدة الأبيات، يدل بذلك على اقتداره وسعة تبحره، ودقة فكره، ورحب باعه، وتوقد ذكائه..."

قال امرؤ القيس وهو أوسعهم مذهبا في هذا الباب:

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل \*\*\* بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ثم قال:

أفأطم مهلاً بعد هذا التدلّل \*\*\* وإن كنت قد أزمعت صرّمي فأجملي.

ثم قال:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انجَلِ \*\*\* بَصُحٍّ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلٍ<sup>57</sup>.

ومن المحسنات التي التقى فيها أبو طاهر مع أبي هلال العسكري في الصناعتين،

نجد سبعة هي:

التكميل<sup>58</sup> سماه العسكري التتميم والتكميل وجعله مصطلحاً واحداً<sup>59</sup>، والسلب

والإيجاب<sup>60</sup>، والعكس والتبديل<sup>61</sup> وهو عند أبي هلال العكس<sup>62</sup>، والتذييل<sup>63</sup>، والاستطراد<sup>64</sup>،

والاستثناء<sup>65</sup>، وجمع المؤنث والمختلفة<sup>66</sup>.

بقيت ثمانية مصطلحات، نرد خمسة منها لابن رشيق القيرواني في العمدة، وهي:

الموازنة<sup>67</sup>، والتكرار<sup>68</sup>، والتصحيف<sup>69</sup>، والترديد<sup>70</sup>، والتفريع<sup>71</sup>.

أما المصطلحات الثلاثة المتبقية وهي: التفويف، والتسميط، والقَسَم، فلم نجد لها

ذكراً في كتب البلاغة التي ألفت قبل "قانون البلاغة" حسب ما ورد إلى علمنا؛ غير أن

الخطيب التبريزي (502هـ) أوردها في كتابه الكافي في العروض والقوافي؛ يقول في تعريف

المصطلح الأول: "(والتفويفُ) المُشَبَّهُ بِالْبُرْدِ الْمُفَوَّفِ، وهو الذي يخلطُ وشيئه شيءٌ من

بياض<sup>72</sup>". وإذا كان التبريزي اقتصر على هذا التعريف اللغوي، فإن أبا طاهر - علاوة على

التعريف اللغوي - أضاف إليه تحديده الاصطلاحي وخصه في مجاله؛ يقول: "وأما

التفويفُ: فإنَّما سُمِّيَ التفويفُ، تشبيهاً بالبردِ المفوفِ، وهو الذي يخالطُ وشيئه شيءٌ من

البياض، والقَفُوفُ: بياضٌ يكون على الأظفار، وسُمِّيَ البُرْدُ مُفَوَّفاً به. وهذا النوع من الشعر

هو أن يسهّل له مخارج الحروف، ويرفّ منه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة، وأن

يكون ظاهر المعنى لا يحتاج إلى إعمال الفكر في استنباط معانيه، وإن كان خالياً من جميع

الأوصاف التي تقدمت وتأخرت عنها<sup>73</sup>. وجميع شواهد البغدادي - باستثناء البيت الأخير

من آخر شاهد شعري - وردت عند التبريزي بالترتيب نفسه<sup>74</sup>.

أما التسميط فقد كان تعريف البغدادي هو تعريف التبريزي ذاته، باللفظ نفسه،

والشاهد نفسه، والتعليق نفسه<sup>75</sup>.

أما القَسَم وإن لم يعرفه التبريزي في كتابه، فإن شواهده الشعرية جميعها مذكورة

في قانون البلاغة<sup>76</sup>.

إن الحديث عن هذه المصطلحات يتجه بنا إلى ثلاثة احتمالات هي:  
 الاحتمال الأول. تأسيس التبريزي لهذه المصطلحات واتباع البغدادي له.  
 إذا وازنا بين بنية العناصر المكونة لورود مصطلحي (التفويف، والقَسَم) عند  
 الناقدین، وركزنا على مسألة اللغة الواصفة، فسنلاحظ الآتي:  
 اقتصر التبريزي في تعريف مصطلح التفويف على الجانب اللغوي، بينما - علاوة  
 على هذا الجانب - حاول أبو طاهر البغدادي الربط بين الدلالة اللغوية والدلالة  
 الاصطلاحية، وتأسيس التعريف الاصطلاحي بناء على خواصه اللغوية.  
 أما مصطلح القَسَم، فقد غاب تعريفه عند التبريزي؛ في حين، حدّد البغدادي  
 مفهومه وضبطه.

والمعروف أن تحديد المفاهيم الجديدة وغير المألوفة ثمرة لشئئين اثنين هما: التفهم  
 والتبيين اللذان يقوم بهما المعرف، وفي هذه الحال يمكن ترجيح اختراع البغدادي لهذه  
 المصطلحات؛ وقد يكون كذلك نتيجة لتجارب سابقة، وهنا تثار فكرة أن البغدادي صاغ  
 تعريفه لهذه المصطلحات انطلاقاً من العمل التمهيدي الذي قام به التبريزي، سواء من  
 جهة التأصيل اللغوي لمصطلح التفويف أو فن القول الشعري لمصطلح القَسَم الذي أخذ  
 قاعدة لصياغة التعريف. من هنا تجد فرضية إنشاء التبريزي لهذين المصطلحين مكانها  
 داخل هذا الفرض النظري الأول؛ إذ لو كان التبريزي مقتفياً نهج البغدادي في المصطلحات  
 لسدّ فراغ تعريف هذين المصطلحين بناء على تعريفهما عند البغدادي، إما نقلاً مطابقاً  
 وإما تعديلاً بالإضافة أو الحذف...

الاحتمال الثاني. أسبقية البغدادي في ابتداء هذه المصطلحات واتباع التبريزي له.  
 المعروف أن البلاغيين القدامى تباروا في إحصاء الشاهد الشعري وإنتاج المصطلح  
 البديعي، وراكموا جملة من التسميات كانت سبباً في سيولة المصطلح البلاغي وتوسيع  
 دائرته.

وما يثير الانتباه عند المقارنة بين الكتابين، أن كل مصطلحات البغدادي أوردتها  
 التبريزي في كتابه بالتسمية نفسها، وبالترتيب نفسه<sup>77</sup>؛ وأضاف التبريزي إلى كتابه خمسة

مصطلحات بديعية هي: الزيادة التي يتم بها المعنى<sup>78</sup>، والمشكلة<sup>79</sup>، والتنبيه<sup>80</sup>، والمؤاردة<sup>81</sup>، والمؤاربة<sup>82</sup>؛ لم يذكر منها البغدادي إلا المصطلح الأول، عند حديثه عن أجناس الشعر الخمسة، وسماه "المعنى الذي تلحقه زيادة تؤكد"، ولم يجعله ضمن أقسام البديع التي عدّها<sup>83</sup>. هذا الأمر يضع أكثر من إشكال وتساؤل؛ فإذا كان البغدادي أتبع التبريزي، فلماذا أهمل المصطلحات الأربعة الأخيرة ولم يأخذ بها ويضمّنها في كتابه؟! خاصة أننا نعلم أن الكم العددي للمصطلح البديعي اتخذ نسفا تصاعدياً منذ بداياته الأولى إلى عصر البغدادي وما جاء بعده، وأولست مسألة التنامي العددي وإضافة الجديد بحكم كونها أظهر في كتاب الكافي منها في كتاب قانون البلاغة مُرجحة لفرضية زيادة البغدادي في هذا الباب؟ أما إذا كان العكس، وللتبريزي شرف السبق في اختراعها، فهل من الجائز أن تكون كذلك، ونحن نعلم أن الكتاب وُضع في الأصل للعروض والقوافي، وبهذا الميدان عُرف واشتهر. أما البديع فجاء الحديث عنه بعد الفراغ من الموضوع الأساس، ولأنه داخل في صنعة الشعر مما يجب معرفته؟<sup>84</sup>.

كل هذا يجعلنا في حديثنا عن هذه المصطلحات الثلاثة نقول ظناً، ولا نستطيع الحسم علمياً بأن أبا طاهر اهتدى إلى أنواع بديعية جديدة أو اكتفى بإعادة ذكر ما اختُرع سلفاً. ولسنا ندرى أيّ الكتابين أسبق في التأليف؟ وأيّ المؤلفين أخذ عن الآخر؟ خصوصاً أنهما قد تعاصرا، وتاريخ وفاتهما متقارب جداً؛ إذ لا يبعد تاريخ وفاة البغدادي عن التبريزي سوى خمس عشرة سنة.

**الاحتمال الثالث.** وهو أن هذه الأنواع الثلاثة قد انتهت إلى علم التبريزي والبغدادي مما أورده المتقدمون، وعثراً عليها لدى بعض من سبقوهما من أهل الصناعة أو غيرهم؛ وهو احتمال وارد جداً، خاصة أن تراثنا العلمي مازالت فيه حلقات مفقودة وفجوات كبيرة، وعدد كبير من نصوصه أصابه التلف والضياع.

إذن، مجموع المصطلحات التي اتبع فيها غيره - سواء اتفق معهم على تسميتها الاصطلاحية أو اختلف معهم في التسمية - واحد وأربعون مصطلحاً، ولم يبق إلا ثلاثة مصطلحات لم نقطع القول بأنها من ابتداع البغدادي، ولم نجزم كذلك بأنها ليست

للتبريزي علما أن لا أحد منهما حدد اكتشافه لهذه الأنواع التي عرّفنا بها بقول صريح في كتابه.

لقد جرى أبو طاهر البغدادي من سبقه أو عاصره من العلماء والنقاد في مجموعة من المصطلحات؛ إذ بدأ أن تسميات بعضهم حظيت عنده بالقبول، لذلك يظهر أن الكتاب جزء وامتداد للمصطلح البلاغي السابق عليه، ويتأسس خطابه على خاصة "التصنيف والترتيب والمماثلة"، وهذا الأمر لا يعني أنه جعل من كتابه نسخة مكررة من الكتب السابقة أو من بعضها؛ بل هو دراسة تحليلية وإعادة بناء لا تخلو من إبداع وتأسيس.

إن أول إشكال أثار انتباهنا في هذا البحث هو تضارب تسميات البغدادي للفظ البديعي الواحد، إذ إن هناك مجموعة من المصطلحات أخذها البغدادي عن البلاغيين وظن أنها مختلفة لفظا ومفهوما. فالتوشيح عند قدامة هو رد العجز على الصدر عند ابن المعتز؛ والتكافؤ عند قدامة هو المطابقة عند ابن المعتز؛ والاعتراض عند ابن المعتز، والتتميم عند قدامة، والتتميم والتكميل عند أبي هلال مصطلحات عدة لمفهوم واحد؛ والاستطراد عند العسكري هو حسن الخروج عند ابن المعتز... وأبو طاهر يُسمي ويُعرّف "التسليم" و"رد العجز على الصدر"؛ و"التكافؤ" و"الطباق"؛ و"التتميم" و"التكميل"؛ و"الاستطراد" و"براعة التخلص"... ويجعلها لفظين اثنين بمفهومين اثنين.

وقدم أحمد أبو زيد في حديثه عن التضخم في المصطلح البديعي أمثلة للظاهرة، منها "تلك التي سماها ابن المعتز برد أعجاز الكلام على صدره، هذه الصورة أخذت أسماؤها تتكاثرت حتى بلغت أربعة عشر مصطلحا هي: الإرصاء، والإيغال، والتذليل، والتسليم، والتصدير، وتشابه الأطراف، والتعقيب، والتكميل، والتمكين، والتوشيح، والتتميم، والتناسب، وائتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام. وقلّ أن تجد فنا من فنون البديع لم تتعدد أسماؤه"<sup>85</sup>.

وذكر أبو طاهر البغدادي في كتابه رد العجز على الصدر، وخمسة مصطلحات متفرعة عنه هي: الإيغال، والتسليم، والتكميل، والتذليل، والتتميم. وإذا أخذنا في عين

الاعتبار هذه الأمثلة فقط؛ تأكد لدينا أنه انخرط كذلك في تتبع الجزئيات، وأكثر من التسميات الحرفية للأصل، وأقام الفروق البسيطة حيث لا تكاد تُلاحظ.

وممكن خطورة الظاهرة إفرانها لإشكالات جعلت الدرس المصطلحي في غياهب التخلف. ولا يخفى ما يسببه هذا الانحراف في وظيفة المصطلح من عوائق مُخلّة بالتواصل لما تُحدثه من التباس واضطراب لمتلقي المصطلح. وهذا التحدي يواجهنا إلى الآن إذا نحن لم نبادر بتصنيفه وترتيبه وتنظيمه.

والمسألة الثانية التي تلاحظ من خلال قراءة نتائج هذه الدراسة هي أن النقاد توارثوا المصطلح النقدي، إذ تشابهت مؤلفاتهم من حيث احتواؤها على الاصطلاحات نفسها لفظاً وتعريفياً، وتشابهت كذلك استعمالاتهم لبعضها. لقد أخذ النقاد مصطلحاتهم من نقاد تقدموهم أو عاصروهم، وفي الوقت نفسه حاولوا فهم مصطلحات سابقة أو متزامنة فهما جديداً، وأضافوا مصطلحات أخرى مستحدثة.

إن مسألة الاتباع أو التقليد لا تقتصر على زمن معين، ولا على مكان محدد، ولا على فئة أو شخص معينين، بل نجدها تتطور مع مرور الزمن، فهي عملية تاريخية قديمة وحديثة، مرتبطة بضرورات البحث العلمي ودواعي الرقي به، ونجدها في مختلف البيئات النقدية. من هنا يتضح أن مسألة الاتباع أو التأثر كانت مسألة طبيعية بالنسبة إليهم، بل وضرورة علمية في بعض الأحيان، لذا لم يتخرجوا من الأخذ عن النقاد السابقين والسير حذوهم ومحاكاتهم في مصطلحاتهم. وبما أن النقاد ربطوا تطور مسار البحث النقدي بمسألة التجديد المصطلحي، فقد تضافرت جهود ثلة منهم في صنع المصطلحات ووضع المفاهيم المبتكرة.

خاتمة.

وخلاصة القول، نعى أبو طاهر المصطلح النقدي وأغناه، وأضفى عليه بتعريفاته وشواهدة وتعليقاته لمستته الخاصة، مما جعله لا يكتفي بالوقوف عند حدود اتباع القدامى على الرغم من تأثره بهم. هذا بالإضافة إلى أنه أظهر تميزاً ملحوظاً جمع بين الاتباع والابتداع، وبذلك يعد الكتاب جزءاً أصيلاً من كيان البلاغة العربية، وامتداداً وإغناء لأصولها ومصطلحاتها، ولا ريب في "أن كثيراً ممن تلاه في هذا العلم قد أفاد من كتابه هذا،

كأسامة بن منقذ في نقد الشعر<sup>86</sup>، وابن أبي الأصبع المصري في تحرير التحبير، والنويري في نهاية الأرب، والتنوخي في الأقصى القريب، والحلي في حسن التوسل وغيرهم<sup>87</sup>.

### الهوامش:

- <sup>1</sup>- شوقي ضيف. البلاغة تطور وتاريخ. دار المعارف القاهرة، الطبعة الثانية عشر. ص: 358.
- <sup>2</sup>- أبو طاهر محمد بن حيدر البغدادي (517هـ). قانون البلاغة في نقد النثر والشعر. تحقيق محسن غياض عجيل. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الأولى 1401هـ / 1981م.
- <sup>3</sup>- المقصود بها المصطلحات البلاغية، لأن كل مصطلح بلاغي هو مصطلح نقدي؛ مسترشدين بقول الأستاذ الشاهد البوشيخي أن "بين المصطلح النقدي والمصطلح البلاغي عموماً وخصوصاً مطلقاً، فكل مصطلح بلاغي هو مصطلح نقدي، وليس كل مصطلح نقدي مصطلحاً بلاغياً"<sup>(\*)1</sup>. من هنا سيأتي استعمالنا في هذا المقال للمصطلح النقدي أو البلاغي بمعنى واحد.
- <sup>(\*)1</sup> الشاهد البوشيخي. مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين (قضايا ونماذج ونصوص). عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد - الأردن، الطبعة الأولى 1430هـ / 2009م. الإحالة 1، ص: 31.
- <sup>4</sup>- آنظر: مقدمة المحقق: قانون البلاغة. ص: 5 - 8. أردنا تتبع ترجمة المؤلف في مجموعة من الكتب التي أشار إليها المحقق فلم تتوافر لنا هذه الكتب أولاً، ثم لم نعثر على ترجمة وافية له في الكتب التي توافرت لدينا ثانياً: فعلى سبيل المثال، جاء في معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: "أبو طاهر البغدادي. له قانون البلاغة"<sup>(\*)1</sup> فقط. لهذا اضطررنا إلى الاستعانة بما ورد في مقدمة المحقق ولم شتات المعلومات من هنا وهناك لتقديم تعريف مبسط وموجز.
- <sup>(\*)1</sup> - عمر رضا كحالة. معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية. المجلد الثالث، الجزء الخامس. الناشر مكتبة المثنى بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت. ص: 35.
- <sup>5</sup>♦ كذلك لاحظنا في دراستنا تشابهاً كبيراً بين "قانون البلاغة" و"الكافي في العروض والقوافي" للتبريزي في حديثه عن البديع.
- <sup>6</sup>- مقدمة المحقق. قانون البلاغة. ص: 17.
- <sup>7</sup>- أبو العباس عبد الله بن المعتز (299هـ). البديع. شرحه وحققه عرفان مطرجي. مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى 1433هـ / 2012م.
- <sup>8</sup>- أبو الفرج قدامة بن جعفر. نقد الشعر. تحقيق وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د.ت).
- <sup>9</sup>- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري. كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر. تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العلمية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.ت).
- <sup>10</sup>- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (390-456هـ). العمدة في محاسن الشعر وأدابه. تحقيق محمد قرقران. مطبعة الكاتب العربي - دمشق، الطبعة الثانية 1414هـ - 1994م، الجزء 1-2.
- <sup>11</sup>- أبو طاهر البغدادي. قانون البلاغة. ص: 84.

- 12- ابن المعتز. البديع. ص: 48.
- 13- قانون البلاغة. ص: 86 / البديع. ص: 36.
- 14- قانون البلاغة. ص: 90 / البديع. ص: 15.
- 15- قانون البلاغة. ص: 102 / البديع. ص: 62.
- 16- قانون البلاغة. ص: 124 / البديع. ص: 69.
- 17- قانون البلاغة. ص: 96.
- 18- البديع. ص: 85. وجاء في البديع، الإحالة رقم 2، ص: 85 ما يأتي: "الإفراط في الصفة: ويسميه البعض المبالغة ويقسمه إلى ثلاثة مستويات: الأول التبليغ... (و) الثاني الإغراق... (و) الثالث الغلو".
- 19- قانون البلاغة. ص: 109.
- 20- البديع. ص: 83.
- 21- قانون البلاغة. ص: 110 / البديع. ص: 73.
- 22- قانون البلاغة. ص: 111 / البديع. ص: 74.
- 23- قانون البلاغة. ص: 116 / البديع. ص: 103.
- 24- قانون البلاغة. ص: 120 / البديع. ص: 75.
- 25- قانون البلاغة. ص: 122 / البديع. ص: 108.
- 26- قانون البلاغة. ص: 122 - 123.
- 27- البديع. ص: 108.
- 28- قانون البلاغة. ص: 130 / البديع. ص: 81.
- 29- قانون البلاغة. ص: 133.
- 30- البديع. ص: 102.
- 31- قانون البلاغة. ص: 133 - 134.
- 32- البديع. ص: 102.
- 33- قانون البلاغة. ص: 134 / البديع. ص: 79.
- 34- قانون البلاغة. ص: 135 / البديع. ص: 80.
- 35- أنظر: البديع، ص: 36.
- 36- أنظر: الكتاب نفسه. ص: 69.
- 37- قانون البلاغة. ص: 92 / نقد الشعر. ص: 141.
- 38- قانون البلاغة. ص: 93 / نقد الشعر. ص: 157.
- 39- قانون البلاغة. ص: 94 / نقد الشعر. ص: 153.
- 40- قانون البلاغة. ص: 95 / نقد الشعر. ص: 154.
- 41- قانون البلاغة. ص: 97 / نقد الشعر. ص: 202.
- 42- قانون البلاغة. ص: 99 / نقد الشعر. ص: 168.
- 43- قانون البلاغة. ص: 102.
- 44- نقد الشعر. ص: 167.

45- قانون البلاغة. ص: 101.

46- نقد الشعر. ص: 167. تنبيه: التوشيح عند قدامة هورد العجز على الصدر عند ابن المعتز؛ يقول ابن المعتز:

"رد العجز على الصدور هو رد أعجاز الكلام على ما تقدمها، وهذا الباب ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

1. فمن هذا الباب ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه الأول...

2. ومنه ما يوافق آخر كلمة منه أول كلمة في نصفه الأول...

3. ومنه ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه". البديع. ص: 62.

والغريب في الأمر أن أبا طاهر عدّهما مصطلحين مختلفين؛ فأخذ رد العجز على الصدر عن ابن المعتز، وأخذ التوشيح عن قدامة؛ فلك أن تتأمل هذا التداخل في المفاهيم والخلط في المصطلحات الذي وقع فيه البغدادي.

47- قانون البلاغة. ص: 103 / نقد الشعر. ص: 139.

48- قانون البلاغة. ص: 105 / نقد الشعر. ص: 159.

49- قانون البلاغة. ص: 107 / نقد الشعر. ص: 80.

50- قانون البلاغة. ص: 107 / نقد الشعر. ص: 147. تنبيه: التكافؤ عند قدامة هو المطابقة عند ابن المعتز،

وشاهد ذلك أن تعريف قدامة له هو نفسه تعريف ابن المعتز للمطابقة؛ جاء في نقد الشعر: "ومن نعوت

المعاني التكافؤ وهو أن يصف الشاعر شيئاً أويذمه ويتكلم فيه، أي معنى كان، فيأتي بمعنيين متكافئين.

والذي أريد بقولي متكافئين في هذا الموضع أي متقابلين إما من جهة المصادرة أو السلب والإيجاب أو غيرهما من أقسام التقابل مثل قول... بشار:

إذا أيقظتك حروب العدى \*\*\* فنّيه لها عمراً ثمّ نمّ (\*1)

ف'نبيه' و'نم' تكافؤ.

وله أثر في تجويد الشعر قوي فإنه لو قال مثلاً 'فجرد لها عمراً' لم يكن لهذه اللفظة 'نبيه' من الموضوع مع 'نم'.

قدامة. نقد الشعر. ص: 147 - 150.

(\*1) البيت في الديوان: (إذا أيقظتك حروب العدا \*\*\* فنّيه لها عمراً ثمّ نمّ). محمد الطاهر ابن عاشور؛ ناشر

ومقدّم وشارح ومكمل: ديوان بشار بن برد. راجعه وصحّحه: محمد شوقي أمين. مطبعة لجنة التأليف

والترجمة والنشر؛ الجزء الرابع، 1386هـ/1966م. ص: 160.

وجاء في البديع: "من البديع وهو المطابقة قال الخليل رحمه الله: 'طابقت بين الشينين إذا جمعتهما على حذو

واحد'. وكذلك قال أبو سعيد. فالقائل لصاحبه: أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق

الضمان. قد طابقت بين السعة والضيق في هذا الخطاب". ابن المعتز. البديع. ص: 48.

وقد كان للأمدي (370هـ) رأي في قضية تعدد تسمية المصطلح حينما لم يرضه استقلال قدامة بمصطلحه

ومخالفته لابن المعتز في وضع التسميات؛ يقول: "وهذا باب. أعنى المطابق. لقبه أبو الفرج قدامة بن جعفر

(الكاتب) في كتابه المؤلف في نقد الشعر: "المتكافئ"... وما علمت أن أحداً فعل هذا غير أبي الفرج. فإنه وإن

كان هذا اللقب يصح لموافقته معنى الملقبات، وكانت الألقاب غير محظورة؛ فإني لم أكن أحب له أن

يخالف من تقدمه، مثل أبي العباس عبد الله بن المعتز وغيره ممن تكلم في هذه الأنواع وألف فيها؛ إذ قد

سبقوا إلى التلقب وكفوه المؤونة". أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي (370هـ). الموازنة بين شعري تمام

والبحتري. تحقيق السيد أحمد صقر. دار المعارف القاهرة، الطبعة الرابعة. الجزء الأول، ص: 291 - 292.

أما المطابق عند قدامة فهو يختلف كلياً عن المطابقة عند ابن المعتز؛ يقول في تعريفه: "وقد يضع الناس من صفات الشعر المطابق والمجانس وهما داخلان في باب ائتلاف اللفظ والمعنى، ومعناهما أن تكون في الشعر معان متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة، فأما المطابق فهو ما اشترك في لفظة واحدة بعينها مثل قول... الأفوه الأزدى:

واقطع الهوجل مستأنساً \*\*\* بهوجل عيدانة عنتريس (\*2)

فلفظة الهوجل في هذا الشعر واحدة قد اشتركت في معنيين، لأن الأول يعني الأرض والثاني الناقة". قدامة. نقد الشعر. ص: 162 - 163.

(\*2) البيت في الديوان:

واقطع الهوجل مستأنساً \*\*\* بهوجل عيرانة عنتريس

الهوجل: الأرض البعيدة، والناقة العظيمة الخلق السريعة في سيرها. العنتريس: الداهية. العيرانة: النشيطة الصلبة". محمد التونجي؛ شارح ومحقق: ديوان الأفوه الأودي. دار صادر بيروت، الطبعة الأولى 1998م. ص: 83.

ملاحظة: "يقال للأفوه الأزدى" كذلك. أنظر: الكتاب نفسه. ص: 25.

وما قيل عن مصطلحي "رد العجز على الصدر" و"التوشيح" يقال عن هذين المصطلحين، إذ أخذ أبو طاهر عن كلا البلاغيين مصطلحين ظن أنهما مختلفان لفظاً ومفهوماً. وهو نفسه يصرح بتداخل مفهوم التكافؤ مع الطباق؛ يقول: "وأما التكافؤ فهو قريب من الطباق". أبو طاهر البغدادي. قانون البلاغة. ص: 107.

<sup>51</sup>- نفسه. ص: 124.

<sup>52</sup>- نقد الشعر. ص: 142.

<sup>53</sup>- قانون البلاغة. ص: 124. البيتان في الديوان:

لَقَدْ حُنْتُ قَوْماً لَوْلَجَأْتُ إِلَيْهِمْ \*\*\* طَرِيدَ دَمٍ، أَوْ حَامِلَاتُ ثَقْلٍ مَغْرَمٍ

لَأَلْفَيْتُ فِيهِمْ مُطْعِماً وَمُطَاعِناً \*\*\* وَرَأَيْتُكَ شَزْراً بِالْوَشِيحِ الْمُقْوَمِ

المغرم: الثأر. الشزر: الحدة والغضب. الوشيح: الرماح". علي فاعور؛ شارح وضابط ومقدم: ديوان الفرزدق. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1407هـ / 1987م. ص: 519.

<sup>54</sup>- نقد الشعر. ص: 142 - 143.

<sup>55</sup>- قانون البلاغة. ص: 128 / نقد الشعر. ص: 86.

<sup>56</sup>- نقد الشعر. ص: 86. الأبيات في الديوان:

قِفَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ \*\*\* بِسَقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ وَحَوْمَلٍ

السَّقْطِ والسَّقْطِ والسَّقْطِ: منقطع الرمل. واللوى: حيث يلتوي ويرق؛ وإنما خص منقطع الرمل ومثلناه؛ لأنهم كانوا لا ينزلون إلا في صلابة من الأرض ليكون ذلك أثبت لأوتاد الأبنية، وأمكن لحفر التلوى، وإنما تكون

الصلابة حيث ينقطع الرمل ويلتوي ويرق. والدخول وحومل: بلدان.

...

أفاطم مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ \*\*\* وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَزْمَعْتَ صِرْمِي فَأَجْمَلِي  
قوله: (بعض هذا التدلل) أي كُفِّي بعض تدللك عني وأقلي منه. ومعنى (أزمعت) عزمت وأجمعت. وفاطمة بنت  
العبيد بن ثعلبة، من عذرة.

...

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِي \*\*\* بَصِيحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ فَيْكَ بِأَمْتَلٍ  
قوله: (ألا انجلي) أي انكشفي؛ ومعنى قوله: (وما الإصباح فيك بأمتل)، أي أنا أبدأ مهموم في الليل وفي الصباح".  
محمد أبو الفضل إبراهيم؛ محقق ديوان امرئ القيس. دار المعارف. الطبعة الرابعة. ص: 8 - 12 - 18.  
57- قانون البلاغة. ص: 128 - 129.

58- نفسه. ص: 105.

59- أبو هلال العسكري. الصناعتين. ص: 389. تنبيه: التتميم والتكميل عند أبي هلال هو نفسه التتميم عند  
قدامة، وشاهد ذلك أنهما يلتقيان في التعريف نفسه: يقول الأول: "التتميم والتكميل وهو أن توفي حظه  
من الجودة، وتعطيه نصيبه من الصحة؛ ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده، أو لفظا يكون فيه  
توكيده إلا تذكره: كقول... النمر:

لقد أصبح البيضُ الغواني كأنما \*\*\* يرئِنَ إذا ما كنتُ فمِنَ أجْرِبَا

وكنْتُ إذا لاقَيْتُهُنَّ ببلدَةٍ \*\*\* يَقلُنَّ على النَّكْرَاءِ أهْلًا ومَرْحَبًا (\*1)

فقوله: 'على النكراء' تتميم؛ ولو كانت بينه وبين معرفة لم ينكر له مهن أهل ومرحب". أبو هلال العسكري.  
الصناعتين. ص: 389 - 390.

(\*1) البيتان في الديوان:

لقد أصبحَ البيضُ الغواني كأنما \*\*\* يرئِنَ إذا ما كنتُ فمِنَ أجْرِبَا

وكنْتُ إذا لاقَيْتُهُنَّ ببلدَةٍ \*\*\* يَقلُنَّ على النَّكْرَاءِ أهْلًا ومَرْحَبًا

البيض: جمع بيضاء، وهي الفتاة الحرة الكريمة. والغواني: جمع غانية، وهي التي غنيت بجمالها عن الزينة.  
والأجرب: الذي أصابه الجرب، وهو يثر يعلو أبدان الناس والإبل". محمد نبيل طريفي؛ جامع وشارح  
ومحقق: ديوان النمر بن تُولب العُكْلِي. دار صادر بيروت. الطبعة الأولى 2000. ص: 38.

ويقول الثاني: "ومن نعوت المعاني التتميم وهو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته  
وتكمل معها جودته شيئا إلا أتى به... مثل قول النمر بن تولب:

لقد أصبحَ البيضُ الغواني كأنما \*\*\* يرئِنَ إذا ما كنتُ فمِنَ أجْرِبَا

وكنْتُ إذا لاقَيْتُهُنَّ ببلدَةٍ \*\*\* يَقلُنَّ على النَّكْرَاءِ أهْلًا ومَرْحَبًا

فقوله 'على النكراء' أتم جودة المعنى والإفلا كانت بينهم معرفة لم ينكر أن يقلن له: أهلا ومرحبا". قدامة. نقد  
الشعر. ص: 144 - 145 - 146. وقد التقيا في أربعة شواهد شعرية أخرى لكل من: عمير بن الأهمم التغلبي /  
في الصناعتين عمرو بن الأهمم؛ وطرفة؛ وعبيد الراعي؛ وذي الرمة. وقد ذكرنا سابقا أن التتميم عند أبي  
طاهر هو الاعتراض عند ابن المعتز. والإشكال المثار هنا أن الاعتراض عند ابن المعتز، والتتميم عند قدامة،  
والتتميم والتكميل عند أبي هلال مصطلحات عدة لمفهوم واحد! وأبو طاهر يسمي "التتميم" ويسمي  
"التكميل" ويجعلهما مصطلحين لمفهومين مختلفين.

- <sup>60</sup>- قانون البلاغة. ص: 108 / الصناعتين. ص: 405.
- <sup>61</sup>- قانون البلاغة. ص: 109.
- <sup>62</sup>- الصناعتين. ص: 371.
- <sup>63</sup>- قانون البلاغة. ص: 112 / الصناعتين. ص: 373.
- <sup>64</sup>- قانون البلاغة. ص: 113 / الصناعتين. ص: 398. والاستطراد عند العسكري هو حسن الخروج عند ابن المعتز<sup>(1)</sup>؛ ودليل ذلك تعريفه في الصناعتين: "الاستطراد وهو أن يأخذ المتكلم في معنى، فبينما يمر فيه يأخذ في معنى آخر، وقد جعل الأول سبباً إليه"<sup>(2)</sup>. وإذا كان ابن المعتز لم يعرفه واقتصر على القول: "ومنها - أي محاسن الكلام - حسن الخروج من معنى إلى معنى"<sup>(3)</sup>، فإن جل شواهد العسكري الشعرية التي استشهد بها لهذا الجنس البلاغي هي نفسها شواهد ابن المعتز تقريباً، إذ التقى معه في خمسة<sup>(4)</sup>. وكذلك عدّ البغدادي المصطلحين مفهومين مختلفين وأخذ بهما في كتابه.
- (\*1) أنظر: ابن المعتز. البديع. الإحالة رقم 1، ص: 75.
- (\*2) أبو هلال العسكري. الصناعتين. ص: 398.
- (\*3) ابن المعتز. البديع. ص: 75.
- (\*4) أنظر: ابن المعتز. البديع. ص: 76 - 77. وأبو هلال العسكري. الصناعتين. ص: 398 - 399 - 400. والشواهد هي لبشار؛ والسموأل بن عاديا؛ وزهير؛ وأبي العتاهية / وفي الصناعتين لمسلم؛ وإسحاق الموصلي / وفي الصناعتين لبشار.
- <sup>65</sup>- قانون البلاغة. ص: 115 / الصناعتين. ص: 408.
- <sup>66</sup>- قانون البلاغة. ص: 123 / الصناعتين. ص: 401.
- <sup>67</sup>- قانون البلاغة. ص: 93 / ابن رشيقي القيرواني. العمدة. ج 1، ص: 597. ملاحظة: جعل ابن رشيقي الموازنة نوعاً من المقابلة؛ يقول: "ومن المقابلة ما ليس مخالفاً ولا موافقاً كما شرطوا إلا في الوزن والازدواج فقط، فيسمى حينئذ موازنة". نفسه. ج 1، ص: 597.
- <sup>68</sup>- قانون البلاغة. ص: 115 / العمدة. ج 2، ص: 683. ملاحظة: جعل ابن رشيقي المذهب الكلامي باباً من التكرار، وقد نقل في هذا الباب كلام ابن المعتز؛ يقول: "وقد نقلت هذا الباب نقلاً من كتاب عبد الله بن المعتز، إلا ما لا خفاء به عن أحد من أهل التمييز، واضطرتني إلى ذلك قلة الشواهد فيه". ابن رشيقي. العمدة. ج 2، ص: 694.
- <sup>69</sup>- قانون البلاغة. ص: 116 / العمدة. ج 1، ص: 556. ملاحظة: أدخل ابن رشيقي المضارعة في باب التجنيس، وعدّ المضارعة بالتصحيف ضرباً منها. أنظر: ابن رشيقي. العمدة. ج 1، ص: 555 - 556.
- <sup>70</sup>- قانون البلاغة. ص: 121 / العمدة. ج 1، ص: 566.
- <sup>71</sup>- قانون البلاغة. ص: 127 / العمدة. ج 1، ص: 632. وقد عدّه ابن رشيقي داخلياً في باب الاستطراد؛ يقول: "باب التفرع؛ وهو من الاستطراد". نفسه. ج 1، ص: 632.
- <sup>72</sup>- الخطيب التبريزي. الكافي في العروض والقوافي. تحقيق الحساني حسن عبد الله. مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الثالثة 1415هـ/ 1994م. ص: 194.
- <sup>73</sup>- أبو طاهر البغدادي. قانون البلاغة. ص: 125.

- <sup>74</sup>- قانون البلاغة. ص: 125 - 126 / الكافي. ص: 194 - 195.
- <sup>75</sup>- قانون البلاغة. ص: 128 / الكافي. ص: 196.
- <sup>76</sup>- قانون البلاغة. ص: 132 / الكافي. ص: 198.
- <sup>77</sup>- نستثني من ذلك مصطلح التصريع الذي تحدث عنه التبريزي ضمن مصطلحاته العروضية. أنظر: الخطيب التبريزي. الكافي في العروض والقوافي. ص: 20 - 21.
- <sup>78</sup>- الخطيب التبريزي. الكافي في العروض والقوافي. ص: 199.
- <sup>79</sup>- نفسه. ص: 199 - 200. ملاحظة: المُشاكلة هي المطابقة عند قدامة؛ يقول الخطيب التبريزي: "(والمشاكلة): أن يجمع الشاعر في البيت كلمتين متجاورتين أو غير متجاورتين شكلهما واحد ومعنيهما مختلفان، كقول... الأَفْوَه:
- وَأَقْطَعُ الْهَوْجَلُ مُسْتَأْنَسًا \*\*\* بِهَوْجَلٍ عَيْرَانَةٍ عَنْتَرِسِ  
 الهوجل الأول الفلاة، والثاني الناقة". الكافي في العروض والقوافي. ص: 199 - 200.
- <sup>80</sup>- الكافي. ص: 201 - 202.
- <sup>81</sup>- نفسه. ص: 202.
- <sup>82</sup>- نفسه. ص: 202 - 204.
- <sup>83</sup>- أنظر: أبو طاهر البغدادي. قانون البلاغة. ص: 142.
- <sup>84</sup>- أنظر: مقدمة المحقق. الكافي في العروض والقوافي. ص: 10.
- <sup>85</sup>- أحمد أبو زيد. التوضيح والتضارب في المصطلح البلاغي. مجلة المناظرة، الرباط. السنة الرابعة، العدد السادس رجب 1414 هـ / دجنبر 1993 م. ص: 45.
- <sup>86</sup>♦ - المقصود كتابه الموسوم بالبديع في نقد الشعر.
- <sup>87</sup>- مقدمة المحقق. قانون البلاغة. ص: 17.

\*\*\* \*\*